سبيلا الي نيله فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء
لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك
فليس هو منعما عليك بل اتخذك وسيلة الي نعمة اخري هو يرجوها وانما الذي
انعم عليك هو الذي سخر لك والقي في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا
الي الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا
وقدرت علي شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسي عليه
السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك
مني فكانت معرفته شكرا فاذا لا يعرف الشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب
في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك
في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل

الاصل الثاني

الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا
في نفسه شكر علي تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا
شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك
فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الي سفر فانعم بفرس
علي انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث
انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في
الملك بل غرضه الفرس ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح

الوجه الثاني

ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث انه يستدل به علي عناية الملك به وشفقته عليه
واهتمامه بجانبه حتي لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا
لاستغنائه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له بالاضافة الي مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك

الوجه الثالث

ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل

مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الي درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون في قلب الملك
ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من الملك علي احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة
الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتي لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه
ثلث درجات فالاولي لا يدخل فيه معني الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور علي الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح
بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد من معني الشكر والثانية داخلة في معني الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث
ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه علي الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا
من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها علي التوصل الي القرب
منه والنزول في جواره والنظر الي وجهه علي الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه
عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد وضابط بل من حيث يحمله بصحبة
الملك حتي تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة
علي المطعم والملبس وشكر الخواص علي واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من
الالوان والاصوات وخلي عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حالة الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادة
كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة قيل ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله فان لم يكن اهلا له ففي الدرجة الثانية اما الاولي
فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لنعمه وبين من يريد نعم الله
ليصل بها اليه

الاصل الثالث

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب
وباللسان والجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما
بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها علي معصيته حتي ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر
الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان باظهار الرضا عن الله وهو مأمور به
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت قال بخير فاعاد السؤال فاعاد حتي قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي
اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)